

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما غرتُ على أحدٍ من نساء النبيِّ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما غرتُ على خديجةَ - رضي الله عنها -"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة أورد المصنف - رحمه الله - حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما غرتُ على أحد من نساء النبيِّ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما غرتُ على خديجةَ - رضي الله تعالى عنها -، وما رأيتها قط، ولكن كان يُكثُر ذكرها - يعني: النبيِّ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجةَ - يعني: إلى صديقاتها -، فربما قلت له: كأنَّ لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجةَ!، فيقول: ((إنها كانت، وكانت))، يعني: يشي عليها، ((وكان لي منها ولد)).^(١)

يعني أنه رزق منها الأولاد. متفق عليه.

وفي رواية: وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها، يعني: صديقاتها وخليلاتها، فيهدي في خلائلها منها ما يسعهنَ.

وفي رواية: كان إذا ذبح الشاة يقول: ((أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة))^(٢) يعني: صديقاتها.

وفي رواية قالت: استأذنتْ هالة بنت خوبلد أخت خديجة على رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فعرف استئذنان خديجةَ، - يعني: تذكر خديجة لمشابهة في الصوت، فتحرك قلبها - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لذلك -، فارتاح لذلك فقال: ((اللهم هالة بنت خوبلد))^(٣)، يعني: أنه توقعها ووقع ذلك في نفسه.

وهذا الحديث يدل على أنَّ ما يدعو إليه الإسلام، ويحثُّ أتباعه عليه أن يبر الإنسان أصحاب وأصدقاء وقرابة من يحبه، أو من له حق عليه، ذكرنا بعض الأحاديث التي تتعلق بالوالدين، وبقرابة الوالدين، أو بأصحاب الوالدين، وأنَّ هذا من أبْر البر، وهذا الحديث هنا ليس في الوالدين، إنما هو في صديقات الزوجة، وإذا كان هذا يُفعل مع صديقات الزوجة فإنَّ ما يطلب مع قرابتها كأبيها وأمها وإخوانها وأخواتها لا شك أنه أهُم وأولى من جهة البر والإحسان والصلة.

١- أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويع النبيِّ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خديجةَ وفضلها - رضي الله عنها -، رقم: (٣٨١٨)، رقم: (٣٩/٥).

٢- أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها -، رقم: (٢٤٣٥)، رقم: (١٨٨٨/٤).

٣- أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها -، رقم: (٢٤٣٧)، رقم: (١٨٨٩/٤).

كثير من الناس يقولون: أقرباء الزوجة هؤلاء أصهار ليسوا بأرحام، والإسلام أمر بصلة الرحم، فيقال: مثل هذا الحديث يدل على هذا المعنى، فالإسلام لا يأمر بصلة الرحم فقط، بل بالإحسان إلى الخلق جميعاً، وكلما كان هؤلاء أقرب إليك كلما كان البر أكثـر في حقـهم، ومن أراد أن يحسن إلى إنسـان وأن يكرمه فإن من مقتضـى هذا الإكرام وكمـاله أن يكرـم من يحبـه هذا الإنسـان، إذا كنتـ تقابلـ إنسـاناً تحـبه، وكلـما قـابلـته قـابلـته بـذـمـ أصـحـابـه وـمنـ يـحـبـهمـ، أوـ قـرـابـتهـ، أوـ أـصـهـارـهـ، أوـ ماـ أـشـبـهـ ذـلـكـ بـذـمـيـهـ.

ولكن على كل حال أيضاً هذا الحديث يدل على معنى وهو مطلوب شرعاً، وهو حسن العهد، فخديجة -رضي الله تعالى عنها- زوجة وتوفيت، وتزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدها بناء كثـيرـ، إلاـ أنهـ لاـ يزالـ يـحـفـظـ لـهـ الـوـدـ وـالـذـكـرـيـ الطـيـبـةـ، وـيـذـكـرـهـ بـخـيـرـ، وـالـنـبـيـ -صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- قدـ صـحـ عـنـهـ: ((أنـ حـسـنـ الـعـهـدـ مـنـ الإـيمـانـ))⁴، حـسـنـ الـعـهـدـ، وـكـثـيرـ مـنـ النـاسـ يـغـفـلـ عـنـ هـذـاـ، إـذـاـ مـاتـ قـرـيبـهـ أوـ صـاحـبـهـ أوـ نـحـوـ ذـلـكـ نـسـيـهـ، قدـ يـتـأـثـرـ فـيـ أـيـامـهـ الـأـوـلـىـ ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ يـتـنـهـيـ حـتـىـ إـنـهـ لـاـ يـتـذـكـرـ هـذـاـ إـنـسـانـ فـيـ الدـعـاءـ، فـضـلـاـ عـنـ أـنـ يـذـكـرـهـ بـلـسـانـهـ، يـعـنـيـ: يـذـكـرـهـ بـالـخـيـرـ وـمـاـ أـشـبـهـ هـذـاـ، وـهـكـذـاـ أـيـضاـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ إـذـاـ سـافـرـ أوـ اـنـتـقـلـ نـسـيـهـ أـصـحـابـهـ الـذـيـنـ كـانـ يـعـاـشـهـ وـيـمـالـحـهـمـ، وـبـيـنـهـ وـبـيـنـهـ وـشـائـجـ وـعـلـائـقـ وـصـدـاقـةـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ يـذـهـبـ ذـلـكـ أـجـمـعـ، وـيـتـخـذـ أـصـحـابـاـ آـخـرـينـ، وـكـأـنـ أـوـلـئـكـ لـمـ يـمـرـواـ عـلـيـهـ، وـلـمـ يـعـرـفـهـمـ، وـهـذـاـ خـطـأـ، فـإـنـ هـذـاـ مـنـ الصـفـاتـ المـذـمـوـمـةـ فـيـ النـاسـ.

وقد جاء في كلام العرب، وفي كلام الحكماء، وفي شعر الشعراـءـ ماـ فـيـهـ ذـمـ لـمـ كـانـ بـهـذـهـ الـمـثـابـةـ، إـنـهـ إـذـاـ أـدـارـ ظـهـرـهـ لـعـارـضـ، لـسـبـبـ، لـسـفـرـ، لـمـقـتـضـىـ فـإـنـهـ يـنـسـيـ أـوـلـئـكـ الـذـيـنـ عـاـشـ مـعـهـمـ، وـاـرـتـبـطـ مـعـهـمـ، إـمـاـ أـنـهـ كـانـ يـعـمـلـ مـعـهـمـ، أـوـ كـانـ جـارـاـ لـهـمـ، أـوـ نـحـوـ هـذـاـ، فـهـذـاـ إـلـيـسـ إـلـمـ يـأـمـرـ بـحـسـنـ الـرـعـاـيـةـ وـالـعـشـرـةـ وـحـسـنـ الـعـهـدـ، وـبـقـاءـ الـأـوـاصـرـ حـتـىـ بـعـدـ الـمـوـتـ، فـكـلـمـاـ اـسـطـعـ الـوـاـحـدـ مـنـ أـنـ يـكـمـلـ نـفـسـهـ مـنـ هـذـهـ الـجـوـانـبـ فـلـيـفـعـلـ، فـهـذـهـ أـمـورـ طـيـبـةـ وـمـحـامـدـ وـمـكـارـمـ تـكـتـسـبـ، وـلـوـ أـنـ إـلـيـسـ رـاعـيـ ذـلـكـ، وـجـعـلـ هـذـهـ الـقـضـاـيـاـ نـصـبـ عـيـنـيـهـ، بـحـيـثـ إـنـهـ يـتـرـدـجـ مـعـهـاـ حـتـىـ يـبـلـغـ أـلـوـانـ الـكـمـالـاتـ فـيـهـاـ فـإـنـهـ سـيـكـونـ بـإـذـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـفـيـاـ مـحـسـنـاـ، حـسـنـ الـعـهـدـ، عـظـيمـ الـبـرـ وـالـصـلـةـ وـالـإـحـسـانـ، وـتـنـقـىـ عـلـاقـاتـهـ وـوـشـائـجـهـ طـيـبـةـ، وـأـصـحـابـهـ وـمـحـبـوـهـ كـثـيرـ، أـمـاـ الـجـفـاءـ وـالـتـرـكـ وـالـإـعـرـاضـ فـإـنـ هـذـاـ أـمـرـ لـاـ يـجـمـلـ وـلـاـ يـحـسـنـ، مـنـ النـاسـ مـنـ يـتـزـوـجـ ثـمـ إـنـ هـذـهـ الـزـوـجـةـ هـيـ الـتـيـ اـرـتـبـطـتـ بـهـ فـحـسـبـ، وـلـاـ يـلـقـيـ بـالـأـلـاـ

أـمـرـ لـاـ يـجـمـلـ وـلـاـ يـحـسـنـ، مـنـ النـاسـ مـنـ يـتـزـوـجـ ثـمـ إـنـ هـذـهـ الـزـوـجـةـ هـيـ الـتـيـ اـرـتـبـطـتـ بـهـ فـحـسـبـ، وـلـاـ يـلـقـيـ بـالـأـلـاـ

إـلـىـ أـهـلـهـاـ وـلـاـ لـقـرـابـتـهـاـ، بـلـ قـدـ يـسـيـءـ إـلـيـهـمـ، وـمـنـ أـرـادـ مـنـ الـرـجـالـ أـنـ يـمـلـكـ قـلـبـ اـمـرـأـهـ فـلـيـحـسـنـ

إـلـىـ أـهـلـهـاـ وـلـاـ تـذـكـرـهـ بـخـيـرـ، وـالـمـرـأـةـ الـتـيـ تـرـيـدـ أـنـ تـمـلـقـ قـلـبـ زـوـجـهـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـحـسـنـ إـلـىـ أـهـلـهـ، وـأـنـ تـكـوـنـ جـيـدةـ

الـصـلـةـ بـهـمـ، وـلـاـ تـذـكـرـهـ عـنـهـ إـلـاـ بـخـيـرـ، لـاـ تـنـكـلـ فـيـ غـيـرـتـهـمـ بـسـوـءـ، أـوـ تـوـلـبـ هـذـهـ الـزـوـجـ عـلـىـ أـهـلـهـ، أـوـ تـنـقـلـ لـهـ

كـلـامـاـ بـؤـذـيـهـ وـيـجـرـحـ، أـخـتـكـ قـالـتـ: كـذـاـ، أـمـكـ قـالـتـ: كـذـاـ، فـلـانـةـ قـالـتـ: كـذـاـ، أـهـلـكـ يـفـعـلـونـ كـذـاـ، فـهـذـهـ اـمـرـأـ لـيـسـ

جـيـدةـ، وـقـلـبـ الـزـوـجـ عـادـةـ يـنـفـرـ مـنـهـاـ، لـأـنـ إـلـيـسـ الـكـرـيمـ الـأـصـيـلـ لـاـ يـحـبـ أـنـ يـنـمـ أـهـلـهـ، وـأـنـ يـتـعـرـضـ لـهـمـ، لـكـنـ

لـيـسـ مـعـنـيـ ذـلـكـ أـنـ تـنـظـلـ الـزـوـجـةـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ.

4 - أـخـرـجـهـ الـحـاـكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ، كـتـابـ الـإـيمـانـ، (1/62)، رـقـمـ (40)، وـالـطـبـرـانـيـ فـيـ الـكـبـيرـ، (23/14)، رـقـمـ (23)، وـصـحـحـهـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ السـلـسلـةـ، رـقـمـ (216).

هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، ويجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.